آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما ألحقها من أعمال
(١٨)

مطبوعات المجمع

الفوائد

للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق
محمد عزير شمس

إشراف
بكر بن عبد الله أبو زيد

تمويل
مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع

راجع هذا الجزء

جديع بن محمد البديع

محمد أجمل الإصلاحي

علي بن محمد العمران

مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

حقوق الطبـــع محفوظة
لمؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ

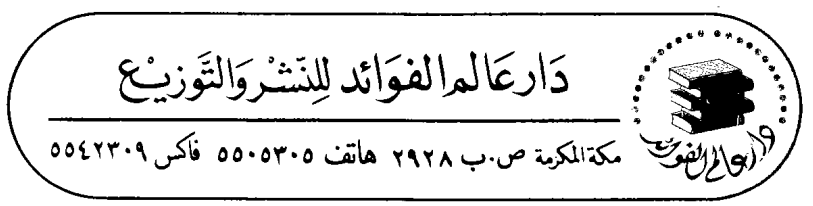

الصَف والإخراج دَارُعَالمِ الفَوَائِد لِلنَشْروَالتَوزيْع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذا كتاب من أروع ما وصل إلينا من مؤلفات الإمام ابن القيم رحمه الله، جمع فيه ألوانًا من الفوائد واللطائف والعبر والمواعظ والنكت والدقائق والملاحظات والأفكار في فنون مختلفة، ولم يُرتِّبه على الموضوعات والأبواب، ويبدو أنه خصَّص كُنّاشًا أو دفترًا لتسجيل هذه الخواطر والفوائد المتفرقة، وأدرج فيه ما استحسن منها في فترات مختلفة من حياته. وطريقته فيه أنه يبدأ كلّ فائدة وبحث بكلمة: فصل أو قاعدة أو فائدة أو تنبيه، ويورد تحتها من بنات فكره أو من الكلمات المأثورة عن السلف أو من الأبيات والحكم المنثَورة ما يعتبرها خير معين لمن يريد طريق النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

ويحتوي الكتاب على موضوعات عديدة في التوحيد والعقيدة، فيذكر أن معرفة الله تحصل بالنظر في مفعولاته والتفكر في آياته وتدبرها (ص٢٨)، وأتمّ الناس معرفةً به من عرفه بكماله وجلاله وجماله (ص٢٦٤)، ومعرفة الله نوعان: معرفة إقرار يشترك فيها المطيع والعاصي، ومعرفة توجب الحياء منه والمحبة له والإنابة إليه، وهي المعرفة الخاصة (ص٢٤٨). وبيَّن المؤلف تفاوت الناس في التوحيد (ص٢٨٢) وفوائد التوحيد في الدنيا والآخرة (ص٧٢) وأن راحة القلب والبدن في طاعة الله (ص٢٩٣)، وذكر معنى العبودية (ص٣١) ومراتبها (ص١٦٣) وثمرة الإيمان بالصفات الإلهية (ص٩٨) والتوسل بأسماء الله

الحسنى (ص٣٦)، وحقيقة التوكّل وأنواعه (ص١٦٥، ١٢٤)، وتعرض لموضوع القضاء والقدر (ص٣٣) والرزق والأجل (ص٧٩) وأن النعم كلها من الله والذنوب من الشيطان (ص٢٩٦) وأن شفاعة الرسول ﷺ تُنال بطاعته (ص٢٢٦). إلى غير ذلك من الموضوعات التي تتعلق بالتوحيد.

وهناك أبحاث جليلة في التفسير وعلوم القرآن، منها بيان شروط الانتفاع بالقرآن (ص٣) وأنواع هجر القرآن (ص١١٨) وتأملات في سورة الفاتحة (ص٢٦) وسورة ق (ص٥) وسورة التكاثر (ص٤٣) وتفسير آيات عديدة (ص٢٣، ٣٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٧، ١٣٠، ١٤٦، ١٩٩، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٧٣، وغيرها).

وهو يشرح أحيانًا بعض الأحاديث، مثل حديث ابن مسعود في الهم والحزن (ص٣٠) وقوله ﷺ: «الإسلام علانية والإيمان في القلب» (ص٢٠٧) وقول الله تعالى لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم» (ص ٢٠) وقوله ﷺ: «فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (ص٨١) وقوله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان» (ص٨١).

وتكلم على مسألة أصولية كلامًا طويلاً، وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي، وقرر ذلك من وجوه كثيرة (ص ١٧١).

وفي الكتاب فصول مهمة عن فضائل العلم (ص١٥١) وأنواعه وآفاته (ص١٢٢) ومراتب العلوم (ص٨٤)، وصفات علماء السوء (ص٨٥) وتحذير العالم من الدنيا والركون إليها (ص١٤٥).

أما الحديث عن أعمال القلوب وأسباب الذنوب والمعاصي وآثارها والأخلاق المحمودة والمذمومة والنصائح والمواعظ والعبر واللطائف

والإشارات والرقائق والزهد فهي تحتلُّ مكانًا بارزًا في الكتاب.

وبالجملة فالكتاب مليء بالفوائد، وسُمِّي حقًّا بكتاب «الفوائد». وهو يختلف في موضوعاته وأبحاثه عن «بدائع الفوائد»، فكتاب «الفوائد» كما رأينا: أكثره تأملات وخواطر، وعبر ومواعظ، ولطائف ورقائق، ويقل فيه النقل عن المصادر الأخرى، بينما كتاب «البدائع» يحتوي على مسائل علمية من فنون مختلفة مع تحقيق وإطالة نفس، ويكثر فيه النقل عن العلماء ومصنفاتهم مع التعليق عليها. ويوجد موضع واحد وقع فيه الاتفاق بين الكتابين في النقل عن «المدهش» لابن الجوزي بدون عزو[1].

*** تحقيق عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف:**

طبع هذا الكتاب لأول مرة في المطبعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٤ بعناية الشيخ محمد منير الدمشقي، وسماه الناشر كتاب «الفوائد». ولم يذكره المترجمون لابن القيم في القديم، ولم يشيروا إلى تأليف له بهذا العنوان في مصادر ترجمته، وإنما اشتهر الكتاب بعد طباعته، ثم ذكره من ترجم له من المحدثين.

ويوجد الأصل الوحيد للكتاب ضمن «الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري» (لابن عروة الحنبلي المتوفى سنة ٨٣٧) المخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم [٥٦٧] (المجلد ٣٩، الورقة ١٤٥أ ـ ٢٠٠ب)، وقد عنون له ابن عروة بقوله:

---

(١) تكلم أخونا البحاثة المحقق علي العمران عن العلاقة بين الكتابين في مقدمة تحقيقه لبدائع الفوائد (١/ ٢٤ ـ ٢٥)، فأغنانا عن الإعادة.

«فوائد شتى ونكت حسان من تفسير آية أو حديث أو أثر سلفي، تتعلق بعلم التوحيد القولي العلمي والعملي الإرادي». ثم قال: «وهي من كلام الشيخ الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين بحر العلوم أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية». ثم قال: «وهي غير بدائع الفوائد له، وهي إما فائدة تعود إلى معرفة أو سلوك، أو تحذير من قاطع، أو تنبيه على مقصود».

ومعنى ذلك أن هذا الكتاب لم يكن له عنوانٌ محدَّد، وإلا ذكره ابن عروة، ولم يقل: «فوائد شتى ونكت حسان...». ولما نشره محمد منير الدمشقي اختصر هذه العبارة الطويلة وسمَّى الكتاب «الفوائد»، ولا غبار عليه فإنه مطابق لمحتوياته، ولذا أبقيناه نظرًا لشهرته لدى القراء والباحثين.

ثم إن ذكره الصريح للإمام ابن القيم يقطع الشك في صحة نسبته إليه، وابنُ عروة من أعرف الناس بآثار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقد احتفظ لنا بنصوصٍ كثيرة منها وفرَّقها في مواضع مختلفة من موسوعته «الكواكب الدراري» لأدنى مناسبة، وبعض هذه الآثار لم تصل إلينا إلاّ من طريقه. وهو على دراية تامة بمحتويات الكتاب، والفرق بينه وبين بدائع الفوائد، كما يظهر ذلك من وصفه للكتاب. ولهذا فنحن مطمئنون إلى صحة نسبته لابن القيم.

وإذا نظرنا في الكتاب وجدنا فيه أمورًا أخرى تؤكِّد صحة نسبته إليه[1]، فالمؤلف يذكر في أثنائه ثلاثةً من مؤلفاته: «اجتماع الجيوش

---

(١) ذكر العلامة الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد بعض وجوه التوثيق في كتابه «ابن قيم =

الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (ص٤)، و«المعالم» (ص١٠) والمقصود به «إعلام الموقعين عن ربّ العالمين»، و«كتابنا الكبير في القضاء والقدر» (ص٣٦) ويقصد به «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل».

ثم إنه يذكر شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عديدة منه بقوله: «شيخنا» (ص١٢، ١٣٦، ١٥٣)، وينقل عنه نصوصًا من كلامه، وهي معروفة له في كتبه التي وصلت إلينا، وقد أشرنا إليها في الهوامش.

وقد سبق أن هناك اتفاقًا بين هذا الكتاب و«بدائع الفوائد» في النقل عن «المدهش» لابن الجوزي، وهذا من الأدلة على كون مؤلفهما واحدًا.

ونجد في أثناء الكتاب تصريحًا باسم ابن القيم في مواضع مختلفة (ص٤، ١٣٦، ١٥٢)، وهذا إما أن يكون من المؤلف نفسه كما يفعل ذلك كثير من المؤلفين، وإما أن يكون من تلاميذه والناسخين لكتابه أو من ابن عروة الذي أدرج هذا الكتاب ضمن «الكواكب». وهذه إحدى القرائن القوية لنسبته إلى ابن القيم.

وأخيرًا فإن أسلوب الكتاب هو أسلوب ابن القيم في سائر كتبه، ولا يخفى ذلك على من قرأ مؤلفاته باهتمام، وخاصةً تلك المؤلفات التي تتعلق بالسلوك والزهد والتربية. وكثير من الموضوعات التي أوجزها هنا فصَّلها في كتبه الأخرى، وكأن مافي الكتاب خلاصة هذا النوع من مؤلفاته، اقتصر فيه على النكت المستحسنة والفوائد الغالية، وزاد عليها

= الجوزية: حياته وآثاره» (ص٢٨٤).

لطائف ودقائق وعبرًا ومواعظ لا توجد في غيره.

*** موارده:**

ذكرنا فيما سبق أن أغلب ما في الكتاب تأملات وخواطر وفوائد اهتدى إليها المؤلف بفكره، ولم ينقل إلاّ القليل من مصادر أخرى، وقد صرَّح أحيانًا باسم المؤلف أو المصدر الذي ينقل عنه، وأغفل أحيانًا أخرى ذكره. ومن المصادر التي نقل عنها:

ـ ابن قتيبة: ص ٣، ١١٦(من تفسيرغريب القرآن)، و١٤، ١٦، ١٢٩، ١٤٩(من تأويل مشكل القرآن).

ـ الزجاج: ص ١٩، ١١٦ (من معاني القرآن وإعرابه).

ـ الواحدي: ص ١٢٨، ١٣١(الوسيط).

ـ ابن الجوزي: ص٢١ (كشف مشكل الصحيحين). ونقل من كتابه «المدهش» كثيرا بلا نسبة، فأغلب النصوص في الصفحات ٥٢ـ٦٩ مأخوذة منه، وكذا في مواضع أخرى.

ـ ابن تيمية: ص١٢، ١٣٦، ١٥٣.

ـ وعزا بعض النصوص إلى كتاب الزهد للإمام أحمد (ص٧٥) وإلى كتاب الترمذي (ص٣٩)، ولا توجد فيهما، ويبدو أنه عزا إليهما من حفظه.

ـ وأغلب النصوص في فصل من كلام عبدالله بن مسعود (ص٢١١ ـ٢١٨) منقولة من كتاب الزهد للإمام أحمد وحلية الأولياء لأبي نعيم، كما يظهر من هوامش التخريج.

هذه بعض المصادر التي استقى منها، ولكن الطابع العام للكتاب

كونه تأملات وخواطر وتصيُّدًا للفوائد والنكت. وهذا ما يُميِّز الكتاب عن الكتب الأخرى للمؤلف، ومن هنا تأتي أهميته.

*** وصف النسخة الخطية:**

ذكرنا فيما مضى أنه لا يوجد من الكتاب إلاّ نسخة فريدة ضمن «الكواكب الدراري» (مج٣٩) من الورقة ١٤٥ إلى الورقة ٢٠٠، في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم [٥٦٧]، وناسخ هذا المجلد هو إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر الحنبلي، كتبه بخط نسخي سنة ٨٢٧. والنسخة واضحة الخط، نادرة الأخطاء، وعدد الأسطر في كل صفحة منها ٢٨ سطرًا، وهي مقابلة ومصححة، كما يظهر ذلك بالاستدراكات على هوامش النسخة وبالدوائر المنقوطة في أثناء الأسطر، وعلى النسخة بلاغات يقول فيها: بلغ مقابلة بأصله، أو نحو هذه العبارة. وعليها ختم مجاميع المدرسة العمرية.

وفي هذا المجلد عدة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، نُشر بعضها ضمن «مجموع الفتاوى» وبعضها في مجاميع أخرى. ويبدأ كتاب «الفوائد» لابن القيم بقول ابن عروة: «فوائد شتى ونكت حسان... وهي من كلام الشيخ الإمام... ابن قيم الجوزية...»، وقد سبق نقل العبارة بتمامها فيما مضى. ثم بدأ كلام المؤلف بقوله: «قاعدة جليلة» دون أن يسبقه البسملة والحمد والمقدمة. وكأن المؤلف لم يفرغ من جمعه وترتيبه والتقديم له، ولذلك لم يرد له ذكرٌ في مصادر ترجمته، ولو لم يُدرِجه ابن عروة في موسوعته لضاع فيما ضاع من تراث ابن القيم.

*** الطبعات السابقة للكتاب:**

صدرت أول طبعة للكتاب في المطبعة المنيرية بالقاهرة سنة ١٣٤٤ بعناية الشيخ محمد منير الدمشقي رحمه الله، وقد صرَّح فيها أنه اعتمد على نسخة «الكواكب». وعلى الرغم مما بذل الناشر من جهد مشكور في قراءة النص وتقديمه، فقد وقعت في هذه الطبعة أخطاء وتحريفات، وسقطت كلمات وأسطر في مواضع كثيرة، وزيدت على النص زيادات دون التنبيه عليها مع عدم الحاجة إليها. وأُلحق به نصٌّ لشيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير أول العنكبوت (ص ٢٠٧ ـ ٢١٢) دون الإشارة إلى أنه زيادة على كتاب ابن القيم. والواقع أنه نصٌّ خارج عن الكتاب، ولكنه موجود في مكان آخر من «الكواكب الدراري» [الورقة ٢٠٥أ ـ ٢٠٧أ] من النسخة السابقة. ولشدة حرص الناشر على طبع آثار شيخ الإسلام وغيره من علماء السلف ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» وغيرها، استنسخ هذه الرسالة وطبعها ملحقةً بكتاب «الفوائد» من باب الحفظ والإفادة، دون تمييزها عن أصل الكتاب، حتى توهَّم القراء والباحثون أنها جزء منه.

ولا أحبّ الخوض في ذكر الأخطاء والتحريفات والأسقاط والزيادات الموجودة في تلك الطبعة، ومن أراد معرفة ذلك فليقم بالمقابلة بينها وبين الطبعة التي بين يديه، أو بينها وبين الأصل ليعرف مدى الفرق بينهما. والناشر على كل حال مشكور لسبقه إلى نشر هذا الكتاب النفيس وتقديمه إلى المتعطشين للعلم لأول مرة، فجزاه الله أحسن الجزاء على ما قام به من خدمة للعلم وأهله.

ثم توالت طبعات الكتاب بالاعتماد على تلك الطبعة، وتسرَّبت إليها

جميعًا ـ بل زادت ـ تلك العيوب التي ذكرناها، لعدم رجوع القائمين عليها إلى الأصل المخطوط، ومن الغريب حقًّا أن يقوم المحققون بتحقيق الكتاب وتصحيحه وضبطه وتخريجه وخدمته وتقديمه بالاعتماد على الطبعات المتداولة، وهي أكثر خطأ وتحريفًا وسقطًا من الطبعة الأولى، مع أن الحصول على الأصل كان أسهل لهم من معاناة المقابلة بين الطبعات المختلفة والوصول إلى نصّ سليم في ضوئها! وتوجد مصورة «الكواكب» الآن في كثير من المراكز العلمية والجامعات الإسلامية، فكان الواجب الرجوع إليها عند إعادة طبع الكتاب.

*** هذه الطبعة:**

كان الاعتماد في إخراج هذه الطبعة على الأصل المخطوط الوحيد الذي سبق وصفه، وبمقابلة الطبعة الأولى على هذا الأصل صححتُ كثيرًا من الأخطاء والتحريفات الواقعة فيها واستدركتُ السقط الذي قد يتجاوز أكثر من سطر، وحذفتُ الزيادات التي زيدتْ على الأصل. وهكذا أصبح النصُّ مطابقًا للأصل دون زيادة أو نقص. وحذفتُ «تفسير أول العنكبوت» لشيخ الإسلام[1]، لأنه ليس من كتاب «الفوائد» كما ذكرتُ.

ثم رجعت إلى النصّ، وقمتُ بضبطه وتقسيمه إلى فقرات، مع الاهتمام بعلامات الترقيم، ليكون واضحًا مفهومًا لدى القراء.

ثم خدمتُ النصَّ بعزو الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث والآثار

---

(١) أعدتُ نشره في «جامع المسائل» (٣/ ٢٥١ ـ ٢٦١).

والنقول من المصادر، وتخريج الأشعار ونسبتها إلى قائليها. أما ترجمة الأعلام وشرح الكلمات والعبارات والتعريف بالأماكن فلم أهتمَّ بها، لأني أعتبرها من لوازم الشرح لا من متطلبات تحقيق النصّ.

وقمتُ بوضع فهارس متنوعة للكتاب، ليصل القارىء إلى ما يبحث عنه في أسرع وقت.

فدونك أيها القارىء كتابًا كلُّه درر وفوائد، وتبصرة وتذكرة، وإرشاد وتوجيه، ولعلك لا تجد له نظيرًا بين الكتب التي قرأتَها. أدعو الله أن يوفقني وإياك للتأمل فيه والاستفادة منه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

محمد عزير شمس

عنه وذاك المعنى غير او ذاك المعنى بعينه دون اصله ولكن قد يكون النهي لمعنى يختص بالعباده والعقد وقد يكون لمعنى مشترك بينها وبين غيرها كالنهي المحرم بالاحرام مثل حلق الرأس ولبس القلنسوة وغير ذلك من الثياب المنهي عنها وكالنهي عن نكاح المراة وبيعها وعن صيد البر وغير ذلك من المعاني

ظلم الناس فيما ملكوه من الصيد وحينئذ فالنهي لمعنى مشترك لعظم ولبدل الوحش المحرم صيدا مملوكا وجب عليه اجر لحق الله ووجب عليه بدل لحق المالك ولو وقعا لافسد احرامه كما يفسده نكاح المراة ولاستحق حد الزنا مع ذلك وعلى هذا فمن لبس في الصلاة ما حرم فيها وفي غيرها كالثياب التي فيها خيلاء وفخر كالمبطل والحرير كان حق بطلان الصلاة من الثوب النجس وفي الحديث الذي في السنن ان الله لا يقبل صلاة مبطل والثوب النجس فيه نزاع وفي قدر النجاسة نزاع والصلاة في الحرير للرجال من غير حاجة حرام بالنص والاجماع وكذلك البيع بعد النداء اذا كان قد نهي عنه وغيره يشغل عن الجمعة كان ذلك او كذلك في النهي وكل ما شغل عنها فهو شر وفساد لا خير فيه والملك الحاصل بذلك كالملك الذي لم يحصل الا بمعصية الله وغصب ونحو ذلك الذي لا يحصل الا بغير ذلك من المعاصي مثل الكفر والسحر والكهانة والفاحشة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم خبيث ومهر البغي خبيث فاذا كان الملك الحاصل ان لم اترك الصلاة المفروضة كان حصول الملك بسبب ترك الصلاة كما ان حصول الحلوان ومهر البغاء والكاهنة والبغاء وكما لو قيل له ان تركت الصلاة اليوم اعطيناك عشرة دراهم فان ما ناخذه على ترك الصلاة خبيث وكذلك لو ما يملكه ما عاوضه على ترك الصلاة خبيث ولو استاجر اجيرا بشرط ان لا يصلي كان هذا الشرط باطلا وكان ما ياخذه من العمل الذي يعلم بعقد الصلاة خبيثا مع ان جنس العمل بالاجرة جايز كذلك جنس المعاوضة جايز لكن شرط ان لا يتعدى عن فرايض الله واذا حصل البيع في هذا الوقت وتعذر الرد فلم تظير ثمنه الذي اداه وتصدق بالربح والبايع لم تظير سلعته وتصدق بربح ان كان قد ربح ولو تراضيا بذلك بعد الصلاة لم ينفع فان النهي هنا حق لله فهو كما لو تراضيا بمهر البغي وهنا كما يتصدق به على محتاج لا يعطى للزاني وكذلك في الخمر ونحو ذلك ما اخذ عوضا عن منفعة محرمة فلا يجمع بين العوض والمعوض فان ذلك اعظم اثما من بيعه واذا كان لا يحل ان يبيع الخمر بالثمن فكيف اذا اعطى الخمر واعطى الثمن واذا كان لا يحل للزاني ان يزني وان اعطاه فكيف اذا اعطى مالا وقلنا جميعا يجب اخراج هذا المال كما يؤمر

بيع المشتري كذلك هنا ان كان قد ربح الساعة وقت النداء ربحا قد سلعته فان فاتت تصدق

بالربح ولم يعطه للمشتري فيكون لعانه لعلى الشراء واخذ ثمنه ويعيد السلعة فان باعها بربح تصدق به ولم يعطه للبايع فيكون قد جمع بين ربحين وقد تنازع الفقهاء في المقبوض بالعقد الفاسد هل يملك او لا يملك وفرق بين ان يفوت وان لا يفوت كما هو مبسوط في غير هذا الموضع

فوائد شتى ونكت حسان من تفسير او حديث او شرعي تتعلق بعلم التوحيد العقلي والعلمي الارادي وهي من كلام الشيخ الامام العالم العلامة مفتي الثقلين بحر العلوم ابي عبد الله محمد

الدين محمد ابن ابي بكر ابن ايوب ابن سعد الزرعي الشهير بابن قيم الجوزية وهي غير بدائع الفوائد لم وهي اما فائدة تعود الى معرفة او سلوك او تحذير من قاطع او تنبيه على مقصود فاعلم جليلة اذا اردت الاستماع بالقرآن فاحضر قلبك بين يدي الله واخل سمعك واحضر حضور من يخاطبه به سبحانه وتعالى فانه خطاب منه لكل من بلغه القرآن على لسان رسوله وذلك ان الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وذلك ان تمام التاثير بما كان هو مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول الاثر وانتفاء المانع الاول يمنع من تضمنت الآية بيان ذلك كله باوجز لفظ وابينه ودلت على المراد فقوله ان في ذلك لذكرى اشارة الى ما تقدم من اول السورة الى هاهنا وهذا هو المؤثر وقوله لمن كان له قلب فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا اي حي القلب وقوله او القى السمع اي وجه سمعه واصغى حاسة سمعه الى ما يتلى عليه وهذا شرط التاثير بالكلام وقوله وهو شهيد اي شاهد القلب حاضر غير غائب قال ابن قتيبة استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه وهذا اشارة الى المانع من حصول التاثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والتفكر فيه وتدبره فاذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب الحي ووجد الشرط وهو الاصغاء وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب واضرابه عنه الى شيء آخر حصل الاثر وهو الانتفاع والتذكر فان قيل اذا كان الاثر انما يتم بمجموع هذه الامور فاي وجه لدخول اداة او في قوله او القى السمع والموضع موضع واو الجمع لا موضع او التي هي لاحد الشيئين قيل هذا سؤال جيد والجواب عنه ان يقال خرج الكلام باعتبار حال المخاطب المدعو فان من الناس من يكون حي القلب ولكنه تام الغفلة فاذا فكر بقلبه وجال بفكره دله قلبه وعقله على صحة القرآن وانه الحق وشهد قلبه بما اخبر به القرآن فكان ورود القرآن على قلبه نورا على نور القلب وهذا وصف الذين قيل فيهم ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك هو الحق وقال في حق الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور هذه نور من شاهد نور القلب على نور الوحي وهذا حال صاحب القلب الحي الواعي قال ابن القيم وقد ذكر ما تضمنت هذه الآية من الامر والزجر والعبر في كتاب جنود الشيطان ما لفظه والمعطلة اجمعون صاحب القلب الحي من قلبه في سعة عما هم فيه من الضيق والحرج وهو نظير قوله تعالى ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد وذو قلب كامل حي فيحتاج الى شاهد يميز له بين الحق والباطل ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحي الواعي فطريق حصول هذا له ان يفرغ سمعه للكلام وقلبه لتامله والتفكر فيه وتعقل معانيه فحينئذ ان الحق فانا ولا يحتاج من رأى بعينه ما ذعي اليه واخبر به والناظر عن علم صدق المخبر وتيقنه وقال الكفيني خبره فهو في مقام الايمان والاول في مقام الاحسان هذا قد وصل الى علم اليقين وترقى قلبه منه الى مرتبة عين اليقين وذاك

بالنعماء واسبغ له الحمد والشكر والثناء عليه ذكر في هذه الآية قوله اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا والمراد بالطيبات هي الملاذ والشهوات التي كان يتمتع بها الكفار في الدنيا وقد ذمهم الله على ذلك لانهم انهمكوا فيها وانغمسوا في لذاتها ولم يشكروا الله عليها ولم يؤدوا حقوقها ولذلك كان محمودا عليه ولذته غفل عن المنعم بكسبها ونسب الذهاب اليها وفرح واغتر بظاهر الحياة الدنيا وعن قتادة ان هذه الآية خوفت علينا الطيبات ولم تحرمها علينا فان هذه الآية في الكفار خاصة وقال ابن عباس في هذه الآية توبيخ للكفار وقال ابن زيد هذا في الآخرة وقال الحسن هذا في الدنيا وهذا هو الصحيح لان الآية سيقت في معرض الذم لهم والتوبيخ والتقريع وهذا لا يكون في الآخرة لان الآخرة ليست بدار تكليف وانما هي دار الجزاء على الاعمال التي كانت في الدنيا وقال ابن عباس في هذه الآية توبيخ للكفار وقال ابن زيد هذا في الآخرة وقال الحسن هذا في الدنيا وهذا هو الصحيح لان الآية سيقت في معرض الذم لهم والتوبيخ والتقريع وهذا لا يكون في الآخرة لان الآخرة ليست بدار تكليف وانما هي دار الجزاء على الاعمال التي كانت في الدنيا وقال ابن عباس في هذه الآية توبيخ للكفار وقال ابن زيد هذا في الآخرة وقال الحسن هذا في الدنيا وهذا هو الصحيح لان الآية سيقت في معرض الذم لهم والتوبيخ والتقريع وهذا لا يكون في الآخرة لان الآخرة ليست بدار تكليف وانما هي دار الجزاء على الاعمال التي كانت في الدنيا

المطلقة التامة كما قال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فاخبر سبحانه ان محلهم غير قابل للفهم ومع عدم القبول فيهم مانع اخر جميع وصولها اليهم وهو تولهم واعراضهم اذا عرفوها وتحققوها وما ينبغي ان يعلم ان اسباب الخذلان من نقاء النفس على ما خلقت عليه في الاصل قابلة لها وتخليتها فاسباب الخذلان منها وفيها واسباب التوفيق من جعل الله سبحانه لها قابلة للفهم فاسباب التوفيق منه وفضل وهو الحامل لهذه وهذه كما خلق اجزاء الارض هذه قابلة للنبات وهذه غير قابلة له وخلق الشجر هذه تقبل الثمر وهذه لا تقبله وخلق النحل قابلة لان يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه والزنبور غير قابل لذلك وخلق الارواح الطيبة قابلة لذكره وشكره ومحبته واجلاله وتعظيمه وتوحيده ونصيحة عباده وخلق الارواح الخبيثة غير قابلة لذلك بل لضده وهو الحليم العليم ۞

قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار

ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ۞ ما في قوله ما كان لهم نفي وقيل هي مصدرية اي يختار اختيارهم معنى يختارهم ۞ الاختيار الاصطفاء وكذلك التخير وقوله تعالى ما كان لهم الخيرة اي الاختيار وتصغير مختار مخيرة حذفت منه الالف لانها زائدة وابدلت ياء لانها ابدلت منها في حال الكسر والاستعارة طلب خير يقال استخار الله فخار له وخيرته بين الشيئين اي فوضت اليه الاختيار والخيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الامر فخيره مثل الغيبة الاسم من قولك اغتابه الله تعالى يختار خيرة الله من خلقه وخيره الله ايضا بالتسكين فقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار يخبر تعالى انه المنفرد بالخلق والاختيار وانه ليس له في ذلك منازع ولا معقب فالله ربك يخلق ما يشاء ما كان ويختار ما لم يشأ لكن في الامور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها اليه وقوله ما كان لهم الخيرة نفي على اصح القولين كقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وقد اختار ابن جرير ان ما ها هنا بمعنى الذي تقديره ويختار لهم الذي فيه خيرة وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الاصلح والصحيح انها نافية كما تقدم ابن ابي حاتم عن ابن عباس وقرأ الضحاك ما كان لهم في بيان قوله تعالى ويختار ما لهم فيه الخيرة

ولهذا قال سبحان الله وتعالى عما يشركون اي من الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا ۞

قوله تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون

اي يعلم ما تكنه الضمائر وما تنطوي عليه السرائر كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق تستوي عنده السر والعلن ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وساربٌ بالنهار ۞

فهرس

مقدمة التحقيق	٥
تحقيق عنوان الكتاب ونسبته إلى المؤلف	٧
موارده	١٠
وصف النسخة الخطية	١١
الطبعات السابقة للكتاب	١٢
هذه الطبعة	١٣
نماذج من الأصل	١٥